

القرآن أئوئأ مصن للءمأة اللءة العرأة

بءلم الاسءاذ عبء الرزاق البصفر (الكوءة)

ولقد اءمع البأءون على أن القرآن الكرم كان ولا يزال من أهم الحصون الءة ءمء اللءة العرأة من الضفأء؁ ولاسفما فى العهوء المظلمة الءة اصءء فىها الءرفس بففر اللءة العرأة؁ والءفكر العرأى مشلولا أو كالمشلول؁ فلولا كتاب الله العزفر لضاعء اللءة العرأة فى عالم النسفان .

ومما لا شك فىه أن الإسلام قد ءلق علومأ كسفرة منها ما فءلق باللءة نفسها ومنها ما فءلق بالءفن كعلم النحو والصرف والبفان والمعانى والبءفء وعلم الءفسفر وعلم الفقه وعلم الأصول وعلم الءءفء الى بففر ذلك من العلوم الإسلامفة الكئفر؁ ومن المءروف أن كل علم له اصطلاحاته الءاصة بمعنى انه فأءذ الالفاظ اللغوفة وبءلقها على اصطلاح بعفنه مما فزفء معانى اللءة ففءعلها واسعة عمفقة؁ من ذلك مشلا لفظة المءاز والاستءارة والمصدر والاستنباط والزكاة والصوم والصلاة وبفر ذلك كئفر . فان هذه الكلماء كانت مءروفة عند العرب فى الءاهلفة ولكن مءلوفاءها زاءء بعء الإسلام .

على أن ءفصفل ما ذكرء فءءاج الى سفر من الاسفار . أن قوة اللءة العرأة وانءشارها بسبب ظهور الإسلام وانءشاره مءلازمان بصورة اكفءة . ولا ففونى هنا أن اشفر الى أن لفءنا العرأة لا فمكن أن ءءمل كل هذا ءوسع والاستفءاب لكل ما طرا على ءفاة الأمة العرأة من ءطور وءءءم فى جمفء مءالاء الءفاة لا فمكن أن ءءمل هذا كله لولا اصاءءها وقابلءها العءبفة مما اءهءش المنءصفن من العلمساء الءانب الءفن ءعمقوا فى ءراسة لفة القرآن .

مما ءءءم بءضء أنى من الءفن فقولون بوءوء علافة سببفة بفن الإسلام واللءة العرأة واءه لولا الإسلام لما ءانى للءة العرأة أن ءنءشر فى العالم .

أن اللءة العرأة كانت مءصورة أو كالمءصورة فى شبه الءزفرة العرأة . واءا ءءاوزءها الى العراق أو الشام فان هذا ءءاوز ضعف لا فكاء فؤءر فى ءلك البلاد . كان هذا الءال قبل سءووع نور الإسلام فلما ءءر الله لهءه الأمة أن ءءمع قوءها وبلءشم ءءاءها وءءففء مفاءء الفكر لها وفنفسط سلءانها على جمفء البلاد الءى انءشر فىها الإسلام؁ اصءء لفة هذه الأمة مءنءشرة بفن الشعوب الإسلامفة . وءشان بفن أن فءءء عشرة ملافن مشلا بلفة من اللفاء و بفن أن فءءء بها اكءر من مءة ملفون . اقول ءشان بفن الءالففن فان اللءة ءكءسب قوة وءطورأ ءفئما فكءر الءءءون بها ولاسفما اذا ما كانت ءلك الشعوب مءءلفة الءءناس لها ءضارات ومءنفااء قءفمة عرأفة .

وهذا ما ءءء لفة العرأة بعء انءشار الإسلام اذا انها كانت قبل ظهوره لفة سكان شبه الءزفرة العرأة المءنءشرة فى مشارف الشام والعراق . اما بعء انءشار الإسلام فانها اصءء لفة كئفر من الشعوب الإسلامفة وذلك بفضل الءفن الءففء وبفضل نزول القرآن الكرم . فان لهذا الكتاب العزفر فى قلوب المسلمفن مءانة ءفلفة لا ءعادلها مءانة اذا انه فءلى صباء مساء . سواء كان ذلك فى اوقاء الصلاة أو فى بفرها .

ولسنا فى ءاءة الى أن نشفر الى أن الءكر الءكم فءضمن كل ما ءاءء به الشرفمة السمءة من ءطور وءءفءفء فى العقول والافكار مما اءءء فى العرب بصورة ءاصة وفى المسلمفن بصورة عامفة ءفبفرا شاملأ فى كل مءال من مءالاء الءفاة بما فىها اللءة العرأة . فءء زاء فى مءلوفاء كئفر من الفاظها الامر الءى زاءها قوة على قوءها وعمقا على عمقها .

ومصر والسودان فانمحت بعض اللغات المحلية ، وضمر بعض آخر منها . كما كان **للحروف العربية هيمنتها على جميع تلك اللغات** الى زمن قريب اما الآن فان النتيجة نفسها تبدو بصورة اضعف بسبب التغيرات القومية التي اذكيت ناراها ، حيث نجد مئات بل آلاف الالفاظ العربية الشرعية منبثة في تضاعيف تلك اللغات مع بعض التراكيب او القطع القصيرة التي هي من قبيل الادعية والاذكار ، مع **تطلع دائم الى التعريب الفردي** او الجماعي لتلك الشعوب الاسلامية في آسيا وافريقيا .

ومثل ذلك الاثر نجده في اللهجات الاقليمية فانها مهما كان لها من فشو ورواج فهي تقصر عن ساحة العلم **فالدروس الدينية - حتى للعامة - والخطب والمواعظ كل ذلك بفضل القرآن لا يزال باللغة الفصحى النقية ،** ولاجل ذلك يشعر كل فرد ان من متممات الدين تقوية نفسه في العربية ومضاعفة علمه بها .

وفي هذا المجال لا بد من المقارنة بالفكر الديني - غير الاسلامي - لبعض العرب الذين ما زالوا يدينون بالمسيحية ، فهم قد انساقوا نهائيا مع لغاتهم المحلية ولهجاتهم الاقليمية ، بل ان كتابهم الديني رغم انه لا يؤثر لغة على لغة ولذا تناولته التراجم المختلفة - كان حظهم من العربية ضئيلا جدا ، وكانت ترجمته العربية في غاية الركاكة بل هي اشبه بالعامية او الاجنبية المترجمة ترجمة حرفية مما سوغ للدكتور البارغ مصطفى صادق الرافعي ان يدعو لغة الانجيل بالجملة الانجيلية ، واثبت بالوقائع انه كان هناك تعمد في ذلك تحاشيا من الجملة القرآنية التي هي في الذروة من الفصاحة والبيان ، فضلا عن ذلك فان معظم الدعوات الى العامية حمل رايتها من لم يحمل قط الفكر الاسلامي ملة او تعلقا . ويتبين ذلك من الكتاب النفيس (تاريخ الدعوة الى العامية) للدكتور نفوسة سعيد ومن كتاب (اباطيل واسمار) للاستاذ محمود احمد شاکر .

فالفكر الاسلامي بفضل القرآن عاصم من قواصم الفارات المختلفة على لغة الضاد من المستعمرين والمبشرين والمستغربين .

(4) - من الواقع المؤلم ان يكون للهجة الاقليمية هنا تأثير في التعابير العربية المحلية ، وهذا امر لا تنفرد به الكويت بل قد لف العالم العربي كله . واذا اخذنا بالتقسيم الخماسي للهجات الاقليمية الى (حجازية - سورية - عراقية - ومصرية -

ومغربية) فان اللهجة الاقليمية في الكويت مزيج من (الحجازية والعراقية) بسبب الجوار المشترك .

وهذه اللهجة فيها عوامل قرب من الفصحى بل يقال فيها احيانا في الالفاظ او التراكيب ، كما ان فيها عوامل رداءة في العربية وحياة بعض الاساليب المهجورة او المايب اللفظية (كابدال الجيم ياء ، وحذف بعض الحروف من وسط الكلمة او ادغامها ، وتحريف ضبط بعض الالفاظ) وكذلك فيها عوامل اجنبية محض ، حيث قد تسربت كثير من الكلمات (الانكليزية) وتقلبت على الالسنة كأنها عربية حتى ان بعضها اخذه التصريف والاشتقاق مع كمية وافرة من اسماء الادوات في السيارة وغيرها من الاجهزة الحديثة .

وفضلا عن ذلك فان هناك قسما من لغة الاذاعة والتلفاز - على قلة - والمسرح - على كثرة - لا يزال باللهجة العامية الكويتية ، وهذا كله خطر مائل على الفصحى ، ولذا ينبغي تحامي الكلمات الاجنبية باحياء الكلمات المغنية عنها ، ولو على سبيل المجاز او الاشتراك او التسمح في تحديد الماهيات ، وبأسلوب التعريب الذي نهجه الاقدمون ومكنوا به اللغة من هضم عدد من الكلمات وتمثلها حتى غدت جزءا من العربية . اما بالنسبة للهجات المحلية فينبغي تحاشيها نهائيا في مجالات الثقافة الخاصة او الشعبية ، ويجب تحديد تداولها في السوق فقط الى حين ، ولذلك استحسن الدكتور محمد محمد حسين تسمية تلك اللهجات باللهجة السوقية ولا ينبغي ان تجاوز السوق الى لغة الثقافة الشعبية في الاذاعة ونحوها ولا يسوغ ان يبقى لها حظ في الادب الا ما كان من قبيل الامثال الشعبية مع الاستثناء عماله نظير فصيح لانه يحوز صفة العموم والتداول الواسع لكل من يمت الى العربية بسبب .

(5) - ان المكانة التي يجب ان تحتلها العربية هنا بالنسبة للغات الاجنبية هي مكانة الصدارة والاغلبية وهذا ما تصبو اليه الامال بالاهتمام بالعربية في التعليم واشتراط درجات لها اكثر من غيرها من المواد **والواقع ان اللغة الانكليزية - بوصفها اللغة الاجنبية هنا - لها حظ وافر من الاهمية يخشى منه اذا لم يضاعف الاهتمام بالعربية ، ولذلك يجب ان تكون للعربية منزلة خاصة لاتساميها فيها لغة اخرى مهما كانت الحاجة اليها ماسة في البعثات او المصطلحات العلمية، وينبغي ان ينشط التعريب للفظه والاسلوب ، والامسمل معقود على مكتب تنسيق التعريب الدائم التابع للجامعة العربية ان يحقق تلك الاماني ، وفق الله القائمين عليه الى ما فيه خير العروبة والاسلام .**